الباب الخامس

فى عظيم مقداره عند الخلفاء وغيرهم من الأحرار والحلفاء

وبالسند الماضى أول الجزء إلى أبى سعيد بن يونس: حدثنا محمد بن الحارث حدثنا محمد بن عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثنا أبى عن أبيه قال، قال الليث: قال لى أبو جعفر المنصور[1] حين أردت أن أودِّعه: قد رأيت ما سرنى من سداد عقلك فاتق الله فى الرعية أمثالك.

وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن بكير قال: قال لى أبو جعفر المنصور: تلى لى؟ قلت: إنى ضعف بدنك، أتريد قوة أقوى منى، فأما إذِ أبَيْتَ فدلنِّى على رجل. قالوا وكان الأمراء بمصر لا يقطعون أمرًا دون الليث.

وقال أبو عبد الله البوشنجى: سمعت يحيى بن بكير يحدث عن يعقوب بن داود الوزير قال: قال لى أمير المؤمنين لما قدم الليث العراق: الزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه ما بقى أحد أعلم بما كان منه.

وقال أشهب بن عبد العزيز[2]: كان لليث أربعة مجالس كل يوم: مجلس لحوائج السلطان، ومجلس لأصحاب الحديث، ومجلس لأصحاب المسائل، ومجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيرده صغرت حاجته أو كبرت.

وقال منصور بن عمار: كان الليثُ إذا تكلم رجل فى المسجد الجامع أخرجه، قال: فلما دخلت مصر تكلمت فى الجامع فإذا رجلان قد دخلا فأخذانى فقالا: أجب أبا الحارث، قال: فذهبت وأنا أقول: واسوأتاه، أخرج من البلد هكذا. قال: فلما دخلت على الليث سلمت فقال: أنت المتكلم فى المسجد؟ قلت: نعم: قال أعد علىَّ ما قلت. قال فأعدتُهُ فرق الشيخ وبكى، فقال: ما أسمك؟ قلت منصور بن عمار. قال أبو السرى؟ قلت: نعم. فدفع إلى كيسًا وقال: صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ولا تمدحن أحدًا من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين، ولك على فى كل سنة مثلها.

وبالسند الماضى إلى أبى نعيم حدثنا محمد بن أحمد الجرجرائى[3] حدثنا أبو على الطرائفى[4] حدثنا لؤلؤ[5] خادم الرشيد قال: جرى بين هارون الرشيد وبنت عمه زبيدة[6] بنت جعفر كلام.

فقال هارون: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة. ثم ندم، فجمع الفقهاء فاختلفوا، ثم كتب إلى البلدان فاستحضر علماءها إليه، فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا، وبقى شيخ لم يتكلم، وكان فى آخر المجلس، وهو الليث بن سعد، قال: فسأله، قال: إذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمتُه. فصرفهم: فقال يدنينى أمير المؤمنين. فأدناه فقال: أتكلم على الأمان؟ قال: نعم. فأمر بإحضار مصحف فأحْضر، فقال: تصفَّحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها. ففعل، فلما انتهى إلى قوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾* . قال أمسك

يا أمير المؤمنين، قل والله. قال: فاشتد ذلك على هارون، فقال: يا أمير المؤمنين الشرطُ أملَكُ، فقال: والله، حتى فرغ اليمين، قال: قل إنى أخاف مقام ربى، فقال ذلك، فقال يا أمير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال: فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر، فقال له الرشيد: أحسنت، وأمر له بالجوائز والخُلَع، وأمر له بإقطاع الجيزة ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره، وصَرَفه مكرمًا.

وقال يحيى بن بكير «كتب الوليد بن[٧] رفاعة وهو أمير مصر فى وصيته: قد أسندت وصيتى لعبد الرحمن بن خالد بن مسافر[٨] وإلى الليث بن سعد، وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث، فإن له نصحًا ورأيًا» وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة.

وقال سعيد بن أبى مريم: كان إسماعيل بن اليسع الكندى[٩] من خير قضائنا غير أنه كان يذهب مذهب أبى حنيفة[١٠] فى إبطال الحبس، فأبغضوه، فكتب الليث فى أمره، فعزل.

وقال يحيى بن عثمان بن صالح عن أبيه: جاء الليث إلى إسماعيل فجلس بين يديه فرفع إسماعيل مجلسه. فقال: إنما جئت إليك مخاصمًا قال: فيماذا؟ قال: فى أحباس المسلمين، قد حبس رسول الله ﷺ وأبو بكر[١١] وعمر[١٢] وعثمان[١٣] وعلى[١٤] وطلحة[١٥] والزبير[١٦] فمن بقى بعد هؤلاء؟ وقام فكتب إلى المهدى[١٧]، فورد الكتاب بعزله، فأتاه الليث فجلس إلى جنبه وقال للقارئ: اقرأ كتاب أمير المؤمنين. فقال له إسماعيل: يا أبا الحارث وما كنت تصنع بهذا؟ والله لو أمرتنى بالخروج لخرجتُ. فقال له الليث: والله إنك لعفيف عن أموال الناس. قال يونس بن عبد الأعلى[١٨]: كان فى كتاب الليث إلى الخليفة: «إنا لم ننكر عليه شيئًا، غير أنه أحدث أحكامًا لا نعرفها».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبيه قال: كتب فيه «يا أمير المؤمنين إنك وَلِيتَ علينا رجلاً ما نقمنا عليه فى الدينار والدرهم إلا خيرًا، إلا أنه يكيد السنة» فعزله.

وبالسند الماضى إلى أبى نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا مطلب بن شعيب[١٩] سمعت عبد الله بن صالح يقول: سمعت الليث بن سعد يقول: لما قدمت على هارون الرشيد قال لى: ياليث ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين صلاحُ بلدنا إجراء النيل، وصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتى الكَدَر فإذا صفا رأسُ العين صَفَت العين. قال: صدقت يا أبا الحارث.

هوامش الباب الخامس

(١) هو عبد الله بن محمد بن على بن العباس أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفًا بالفقه والأدب، مقدمًا فى الفلسفة والفلك، مُحبًا للعلماء ولد سنة ٩٥ هـ/٧١٤م ومات سنة ١٥٨ هـ/٧٧٥م.

انظر المزيد فى: الكامل ١٧٢/٥ و ٦/٦، تاريخ الطبرى ٢٩٢/٩ – ٣٢٢، البدء والتاريخ ٩٠/٦، تاريخ اليعقوبى ١٠٠/٣، تاريخ الخميس ٣٢٤/٢ – ٣٢٩.

(٢) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسى العامرى الجعدى أبو عمرو، فقيه الديار المصرية فى عصره ولد سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢م ومات سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م كان صاحب الإمام مالك. قال الشافعى: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه، قيل اسمه مسكين، وأشهب لقب له. مات بمصر.

انظر المزيد فى: تهذيب التهذيب ٣٥٩/١، الانتقاء ٥١ – ١١٢، وفيات الأعيان ٧٨/١.

(٣) هو محمد بن أحمد بن سفيان محدث الكوفة ومفيدها أبو الحسن الكوفى الحافظ، حدث عن عبد الله بن زيدان البجلى، وعنه أبو العلاء الواسطى، مات سنة ٣٨٤ هـ.

انظر المزيد فى: تذكرة الحفاظ ٩٨٦/٣، سير أعلام النبلاء ٥١٨/١٦، العبر ٢٥/٣، شذرات الذهب ١١٠/٣، الرسالة المستطرفة ١٣٩.

(٤) هو الحافظ المتقن الإمام أبو على أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن القاسم بن السرى بن الجهم العبدى الجرجانى الطرائفى، مصنف «الصحيح» على المسانيد، سمع أبا خليفة فاستوعب ما عنده، والحسن بن سفيان وابن خزيمة، حدث عنه رفيقه الإسماعيلى فى «صيححه»، بأكثر من مائة حديث، وحمزة السهمى والقاضى أبو الطيب وأبو نعيم وكان من علماء المحدثين ومتقنيهم، صوامًا صالحًا ثقة.

قال الخليلى: خرج على «صحيح البخارى» مات سنة ٣٧٧ هـ.

انظر المزيد فى: تاريخ جرجان ٣٨٧، الإرشاد ٧٩٦/٢، الأنساب ١٥٩/٩، اللباب ٣٨٥/٢، تذكرة الحفاظ ٩٧١/٣، سير أعلام النبلاء ٣٤٥/١٦، العبر ٥/٣، الوافى بالوفيات ٨٤/٢، لسان الميزان ٣٥/٥، شذرات الذهب ٩٠/٣، هدية العارفين ٥٠/٢، الرسالة المستطرفة ٩٥، طبقات الحفاظ ٤٠٤ – ٤٠٥.

(٥) له ذكر فى تاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ وبداية ونهاية وتاريخ الخلفاء ومروج الذهب.

(٦) هى زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية أم جعفر زوجة هارون الرشيد وبنت عمه من فضليات النساء وشهراتهن وهى أم الأمين العباسى اسمها «أمة العزيز» وغلب عليها لقبها «زبيدة». قيل كان جدها «المنصور» يرقصها فى طفولتها ويقول: يا زبيدة أنت زبيدة، فغلب ذلك على اسمها وإليها تنسب عين زبيدة فى مكة، جلبت إليها الماء من أقصى وادى نعمان، شرقى مكة. وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة، تزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هـ ولمامات وقتل ابنها الأمين، اضطهدها رجال المأمون. ماتت سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١م.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١٨٩/١، تاريخ بغداد ٤٣٣/١٤، النجوم الزاهرة ٢١٣/٢ الديارات ١٠١، رحلة ابن جبير ٢٠٨، أعلام النساء ٤٣٠/١.

* سورة الرحمن الآية ٤٦.

(٧) هو الوليد بن رفاعة بن خالد الفهمى أمير. كان يلى الشرطة بمصر ونحى عنها سنة ٩٧هـ، ثم قلده هشام بن عبد الملك الإمارة سنة ١٠٩هـ وأقبلت قبائل قيس على سكنى مصر؛ ومن الحوادث فى أيامه أنه أذن فى ابتناء كنيسة بالحمراء، عرفت بعد ذلك بأبى مينا، فثار وهيب اليحصبى وقتل، فخرج القراء بالفسطاط غضبًا لمقتله فأصلح ابن رفاعه الأمر بالقبض على قتلة وهيب وسكنت الفتنة واستمر واليًا إلى أن توفى سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م وحمدت سيرته.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٦٦ و ٧٥ - ٧٩، النجوم الزاهرة ٢٩٠/١.

(٨) هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى المصرى أبو الوليد وال، من رجال الحديث الثقات. كان على شرطة مصر سنة ١٠٩ هـ ثم ولى مصر لهشام بن عبد الملك سنة ١١٨ هـ وعزل سنة ١١٩ هـ ومدة إمارته سبعة أشهر وخمسة أيام وكان سبب عزله نزول الروم ببعض نواحى مصر فى أيامه وأسرهم منها خلقًا كثيرًا، مات سنة ١٢٧ هـ/ ٧٤٥م.

انظر المزيد فى: تهذيب التهذيب ١٦٥/٦، النجوم الزاهرة ٢٧٧/١، الولاة والقضاة ٧٦ - ٨٠، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٩١.

(٩) ورد ذكره وترجمة مختصرة فى الولاة والقضاة للكندى.

(١٠) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمى الكوفى فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأى وقيل إنه من أبناء فارس. رأى أنسا وروى عن حماد بن أبى سليمان وعطاء وعاصم بن أبى النجود والزهرى وقتادة وخلق. وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وأبو يوسف القاضى ومحمد بن الحسن وزفر وخلائق. قال العجلى: كان خزازًا يبيع الخز. وقال ابن معين: كان ثقة لا يحدث من الحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظه. وقال ابن المبارك: ما رأيت فى الفقه مثله. وقال مكى بن إبراهيم: كان أعلم أهل زمانه، وما رأيت فى الكوفيين أورع منه. وقال الشافعى: الناس فى الفقه عيال أبى حنيفة. وسئل يزيد بن هارون: أيما أفقه أبو حنيفة أو سفيان؟ فقال سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه. وأكره أبو حنيفة على القضاء فأبى أن يكون قاضيًا، وكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعًا. ولد سنة ثمانين ومات سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥١هـ وقيل أيضًا سنة ١٥٣هـ.

انظر المزيد فى: البداية والنهاية ١٠٧/١٠، تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣، تذكرة الحفاظ ١٦٨/١، تهذيب الأسماء واللغات ٢١٦/٢، تهذيب التهذيب ٤٤٩/١٠، الجواهر المضية ٢٦/١، خلاصة تذهيب الكمال ٣٤٥، شذرات الذهب ٢٢٧/١، طبقات ابن سعد ٢٥٦/٦، طبقات الفقهاء ٨٦، طبقات القراء لابن الجزرى ٣٤٢/٢، العبر ٢١٤/١، اللباب ٣٦٠/١، مرأة الجنان ٣٠٩/١، مفتاح السعادة ١٩٥/٢، ميزان الأعتدال ٢٦٥/٤، النجوم الزاهرة ١٢/٢، وفيات الأعيان ١٦٣/٢.

(١١) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه، أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه فى الغار، وصديقه الأكبر ووزيره الأحزم عبد الله بن أبى قحافة القرشى التيمى، كان أول من احتاط فى قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجدلك فى كتاب الله شيئًا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئًا ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فانفذه لها أبو بكر رضى الله عنه توفى سنة ١٣ هـ وله ٦٣ عامًا.

انظر المزيد فى: تاريخ الخلفاء ٢٧، أسد الغابة ٣٠٩/٣، تذكرة الحفاظ ٢/١، شذرات الذهب ٢٧/١، طبقات الفقهاء ٣٦، العبر ١٦/١، مروج الذهب ٣٠٥/٢.

(١٢) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله ﷺ، ومن أيد الله به الإسلام، وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدث الملهم وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل، وربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب، استشهد فى أواخر ذى الحجة من سنة ٢٣ هـ وعاش نحوا من ستين عامًا.

انظر المزيد فى: أسد الغابة ١٤٥/٤، الإصابة ٥١١/٢، تاريخ الخلفاء ١٠٨، تذكرة الحفاظ ٥/١، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩، شذرات الذهب ٣٣/١، طبقات الفقهاء ٣٨، طبقات القراء لابن الجزرى ٥٩١/١، العبر ٢٧/١، مروج الذهب ٣١٢/٢، النجوم الزاهرة ٧٨/١.

(١٣) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو عمرو الأموى ذو النورين، ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف، ومن افتتح نوابه إقليم خراسان وإقليم المغرب، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وروى جملة كثيرة من العلم. وكان من السابقين الصادقين المنفقين فى سبيل الله، مات سنة ٣٥هـ وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة وعاش بضعا وثمانين سنة.

انظر المزيد فى: أسد الغابة ٥٨٤/٣، الإصابة ٤٥٥/٢، تاريخ الخلفاء ١٤٧، تذكرة الحفاظ ٨/١، طبقات الفقهاء ٤٠، طبقات القراء لابن الجزرى ٥٠٧/١، طبقات القراء للذهبى ٢٩/١، العبر ٣٦/١، مروج الذهب ٣٤٠/٢، النجوم الزاهرة ٩٢/١.

(١٤) هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أبو الحسن الهاشمى قاضى الأمة وفارس الإسلام جاهد فى الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل، استشهد سنة ٤٠هـ وسنه ٦٠ عامًا.

انظر المزيد فى: أسد الغابة ٩١/٤، الإصابة ٥٠١/٢، تاريخ بغداد ١٣٣/١، تاريخ الخلفاء ١٦٦، تذكرة الحفاظ ١٠/١، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٢، شذرات الذهب ٤٩/١، طبقات الفقهاء ٤١، طبقات القراء لابن الجزرى ٥٤٦/١، طبقات القراء للذهبى ٣٠/١، العبر ٤٦/١، مروج الذهب ٣٥٨/٢، النجوم الزاهرة ١١٩/١.

(١٥) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى المدنى أبو محمد صحابى شجاع، من الأجواد وهو أحد العشرة المبشرين وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد الثمانية السابقين فى الإسلام.

قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم وكان يقال له ولأبى بكر «القرينان» وذلك لأن نوفل بن حارث – وكان أشد قريش – رأى طلحة وقد أسلم، خارجًا مع أبى بكر من عند النبى ﷺ فأمسكهما وشدهما فى حبل. ويقال له «طلحة الجود» و «طلحة الخير» و «طلحة الفياض» وكل ذلك لقبه به رسول الله ﷺ فى مناسبات مختلفة. ولد سنة ٢٨ ق هـ/ ٥٩٦م ومات سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م.

انظر المزيد فى: طبقات ابن سعد ١٥٢/٣، تهذيب التهذيب ٢٠/٥، البدء والتاريخ ٨٢/٥، طبقات القراء لابن الجزرى ٣٤٢/١، صفة الصفوة ١٣٠/١، حلية الأولياء ٨٧/١، ذيل المذيل ١١، تهذيب ابن عساكر ٧١/٧، المحبر ٣٥٥، اللباب ٨٨/٢.

(١٦) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى أبو عبد الله الصحابى الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد سنة ٢٨ ق هـ/ ٥٩٦م ومات سنة ٣٦ هـ/ ٦٥٦م وهو ابن عمة النبى ﷺ، أسلم وله ١٢ عامًا.

انظر المزيد فى: تهذيب ابن عساكر ٣٥٥/٥، صفة الصفوة ١٣٢/١، حلية الأولياء ٨٩/١، ذيل المذيل ١١، تاريخ الخميس ١٧٢/١، البدء والتاريخ ٨٣/٥.

(١٧) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على العباسى أبو عبد الله المهدى بالله، من خلفاء الدولة العباسية فى العراق ولد بإيذج من كور الأهواز سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م وولى بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٥٨ هـ وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهرًا ومات فى ماسبذان صريعًا عن دابته فى الصيد سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م وقيل مسمومًا. كان محمود العهد والسيرة، محببًا إلى الرعية، حسن الخلق والخلق، جوادًا.

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ٢٢٥/٢، دول الإسلام ٨٦/١، البدء والتاريخ ٩٥/٦، الكامل ١١/٦ – ٢٧، تاريخ الطبرى ١١/١٠ – ٢١، مروج الذهب ١٩٤/٢ – ٢٠١، تاريخ بغداد ٣٩١/٥، ابن الساعى ٢٣، الوافى بالوفيات ٣٠٠/٣.

(١٨) هو يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى. روى عن ابن عيينة والشافعى وابن وهب وخلق. وعنه مسلم والنسائى وابن ماجه وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق.

انظر المزيد فى: تذكرة الحفاظ ٥٢٧/٢، تهذيب الأسماء واللغات ١٦٨/٢، تهذيب التهذيب ٤٤٠/١١، شذرات الذهب ١٤٩/٢، طبقات السبكى ١٧٠/٢، طبقات الفقهاء ٩٩، طبقات القراء لابن الجزرى ٤٠٦/٢، طبقات ابن هداية الله ٢٩، العبر ٢٩/٢ اللباب ٥١/٢، مرآة الجنان ١٧٦/٢، وفيات الأعيان ٤١٧/٢.

(١٩) ورد ذكره فى ترتيب المدارك للقاضى عياض بأنه ثقة اختلف فى سنة وفاته.